

تمهيد:

يوجد البحث التوثيقي في قلب العمليات التي تمكن الباحث من بناء معارفه، فالبحث عن الوثائق يقتضي الكشف عن أماكن وجود المعلومات ومصادرها، تجميعها، ترتيبها، انتقائها، بثها واستعمالها. فهو فن وعلم تنظيم المعلومات، التحكم فيها والإفادة منها.

ويتبع الباحث في سبيل ذلك جملة من الخطوات المنهجية التي تمكنه من استخدام المعلومات بشتى أنواعها وأشكالها نصية كانت، مرئية، مسموعة، سمعية بصرية،... من خلال تمحيصها والتأكد من صحتها.

مراحل البحث التوثيقي:

يمر البحث التوثيقي بعدة مراحل تتمثل فيما يلي:

1. تحديد أهداف البحث:

يتم في هذه المرحلة طرح التساؤلات الأولية حول موضوع البحث، حتى يوضع في إطاره العام، ليتم لاحقاً تحديد كل عناصر المعرفة المتوفرة لدى المتعلم، واللجوء إلى استعمال بعض المصادر المرجعية كالقواميس والموسوعات للاستفادة منها، إذ توضع الأسئلة التي يعرف المتعلم الإجابة عليها وتلك التي يتوجب عليه البحث عنها، وهنا يتم تحديد أهداف البحث مع محاولة التعرف على محيط وظروف العمل، من حيث الوقت المتوفر لانجاز البحث، المكان الذي ينجز فيه البحث، الإمكانيات المتوفرة والتي يمكن الاستعانة بها، استغلالها والاستفادة منها. وعليه يتمكن المتعلم في هذه المرحلة من وضع تصور عام للطريقة التي سيقدم بها عمله وببحثه.

2. معرفة مصادر المعلومات:

من المتعارف عليه أن نصف المعرفة هو أن يعرف الباحث أين يجد المعرفة، لذلك يتعين على كل قائم على البحث معرفة أين يجد المعرفة بمعنى معرفة أين يمكنه الحصول على الوثائق ومختلف مصادر المعلومات المتعلقة بموضوع بحثه.

لذلك يتوجب على القائم بالبحث أن يكون على معرفة ودراية بمختلف مؤسسات المعلومات الموجودة وأن يكون على إطلاع بمصادر المعلومات ومختلف الأرصدة الوثائقية المتوفرة بها. حيث يتوجب عليه تعلّم كيفية الاتصال بهذه المؤسسات والتحرك نحو مختلف الأنظمة المعلوماتية محلية كانت أو بعيدة، بهدف استغلال الكنوز المعرفية التي تقوم بحفظها ابتداء من المكتبات المدرسية، المكتبات العامة، مراكز المعلومات المتخصصة وصولاً إلى تعلّم طرائق ولوج قواعد البيانات وبنوك المعلومات وشبكات المعلومات بما فيها شبكة الشبكات "الأنترنت"، التي تَلَف كل نقطة من نقاط الكوكب عبر عقدها وخطوطها ضمن نسيج معلوماتي يقوم على مستودعات رقمية تضم معلومات ومحتويات رقمية يعجز العقل البشري من تصورها. فالباحث عليه أن يصبح متمرساً ليستطيع التجوال والتنقل داخل هذه المؤسسات وانتقاء ما يناسب موضوع بحثه وتحصيل مصادر المعلومات التي تلبي حاجاته المعلوماتية.

3. العثور على الوثائق:

حتى يتسنى للباحث إيجاد الوثيقة أو الوثائق عليه أن يتعلّم ويحسن ترجمة موضوعه إلى كلمات مفتاحية *Mots clés- Key words*، وأن يكون على إطلاع على أنظمة الترتيب والتصنيف التي تعتمد عليها المكتبات في تنظيم وترتيب وتقديم مقتنياتها، كما يتوجب على الباحث أن يحسن توظيف واستعمال وسائل وأدوات البحث المتوفرة بالمكتبات من فهرس، بليوغرافيات بشكلها الآلي أو المطبوع للوصول إلى الوثائق أو مصادر المعلومات التي يحتاجها. لذلك يعيّن على مسيرى المكتبات ومؤسسات المعلومات الأخرى الاضطلاع بدورها الحساس لجذب واستقطاب المستفيدين من خلال التعريف بالمكتبة وكيفية عمل كل قسم منها، تعريفهم بمختلف الأعمال الفنية من فهرسة وتصنيف واستخلاص وتحليل وتعريفهم بكل مقتنياتها الورقية والإلكترونية ومصاحبة المستفيدين من خلال عمليات البحث وتدريبهم على كيفية استرجاع مختلف المراجع ومصادر المعلومات المتوفرة بها.

4. انتقاء الوثائق المناسبة:

يتعيّن على الباحث في هذه المرحلة تعلّم كيفية اختيار الوثيقة التي يحتاجها من بين جملة الوثائق التي وجدها ضمن أرصدة ومقتنيات المكتبة أو المؤسسة المعلوماتية التي توجّه إليها. حيث غالباً ما يكون اختيار الباحث مبنياً على أساس رغباته الشخصية وحاجاته إلى المعلومات حول موضوع البحث وما يميّز به من خصوصية. وتظهر فائدة حسن اختيار الوثائق في الرجوع إليها في الوقت المناسب دون تشويش أو هدر للوقت والجهد.

حيث تندرج عملية اختيار الوثائق وتعويد المستفيدين على كيفية البحث عنها بالمكتبات ومؤسسات المعلومات الأخرى ضمن المناهج التربوية الحديثة التي ترمي إلى تمكين الباحثين من بذل الجهد اللازم لتجميع الحقائق والوصول إليها دون الاعتماد على جهد المعلم أو المؤطر وتوجيهاته. إذ يمكنهم ذلك من دراسة المشكلات التي تواجه تقدم البحث ثم استعراض الحلول الممكنة من زوايا مختلفة وليس ما يراه المؤطر حسب وجهة نظره فقط. إن توجيه المستفيدين للبحث عن الوثائق بأنفسهم يعزز قدرتهم على التعلم والتمرس والتثقيف الذاتي، تعلم التعاون مع الآخرين للتغلب على المشكلات التي تظهر ومنه التدريب وتعلم الرجوع إلى مصادر المعلومات وكيفية استخدام مختلف المراجع، وحسن توظيف الفهارس والببليوغرافيات الموجودة بالمكتبة. فهذه الممارسات تكسب الباحثين المهارة والتمرس اللازمين لاستخلاص المعلومات الضرورية لبناء البحوث وإنتاج المعارف الجديدة.

5. تحليل الوثائق واختيار المعلومات:

يتعين على الباحث في هذه المرحلة استغلال الوثيقة وذلك من خلال القراءة التحليلية لها، حيث يستعين ببعض المصادر المرجعية الورقية وغير الورقية. فالباحث يمكنه الرجوع إلى العديد من الأوعية المرجعية كالموسوعات، المعاجم والقواميس، الأدلة الببليوغرافية على غرار الفهارس والكشافات والمستخلصات، الأطلال والخرائط، الكتب الإحصائية، الحوليات، المخطوطات،...، كما يمكنه الرجوع كذلك إلى مصادر أخرى كالمصغرات الفيلمية، الأوعية السمعية البصرية ناهيك عن المصادر الإلكترونية كالأقراص المليزة، مواقع وصفحات الويب على شبكة الأنترنت من أجل الوصول إلى المعلومات التي يتم استخراجها من نصوص، مخططات، رسوم، جداول، خرائط، صور، تسجيلات سمعية، أشرطة سمعية بصرية أو أوعية إلكترونية. وإن هذه العملية الذهنية تتطلب قدرة على جمع المعلومات، تنظيمها، تحليلها، اختصارها بما يعني استعمالها بطريقة ذكية لانجاز عمل شخصي يستجيب إلى مشروع البحث المطلوب. وعليه يتوجب تكييف المعلومات حسب حاجات الباحث الذي يمتلك وحده قرار استخدام هذه المعلومات أو عدم استخدامها.

6. تقديم البحث:

يتعين على الباحث اختيار الطريقة التي يقدم بها عمله حسب هدف بحثه من جهة وذلك بالتنسيق مع المؤطر الموجه للعمل، وحسب الجمهور الذي يستقبل هذا العرض من جهة أخرى، إذ يمكن أن يكون تقديم العمل بصورة عرض شفوي، على شكل ملف، على شكل تركيب سمعي-بصري أو حتى في صورة مجسم،...

من المحبذ أن يختار الباحث تقديم عمله داخل قاعات مخصصة تكون مجهزة ومعدة بكافة التجهيزات الضرورية والتي تعطي الباحث سهولة كبيرة في التحرك ومرونة أكثر أثناء تقديم العمل، تكون فضاءات التقديم هذه ملحقة بالمكتبات الجامعية التي عليها أن تتحول إلى مراكز معلومات فعلية.

7. التقييم:

في مرحلة التقييم يسعى الباحث بالتنسيق مع الأستاذ المشرف على مشروع بحثه إلى التحقق من السير الحسن للعمل في كل مراحله من خلال التغذية المرتدة أو الراجعة. فابتداء من المرحلة الأولى وصولاً إلى المرحلة الأخيرة يقوم الباحث بتسجيل النقاط الإيجابية المنجزة والوقوف على النقائص المسجلة التي اعترضت سير العمل. ففي مرحلة التقييم يحاول الباحث مقارنة كمية العمل المنجز مع الأهداف المسطرة منذ بدايته، مع الوقوف على مدى مطابقة العمل مع المنهجية المتبعة، حيث تمكنه عملية التقييم من الوقوف على النقائص وتفاديها مستقبلاً وكذلك تحسين مستوى الأداء.